سلسلة الصراط المستقيم (١)

# إبطال الدين النصراني

## بكلمة القرآن الكريم



كتبه /

ناصر الدين عبد الرحمن طاهر

**نشرت الرسالة في شبكة الآلوكة :**

https://www.alukah.net/library/0/151959

#قلم_السنة


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته ، وأقرت له بالإلهية جميع مصنوعاته ، وشهدت بأنه الله الذي لا إله إلا هو بما أودعها من عجائب صنعه ، وبدائع آياته ، وسبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته . ولا إله إلا الله وحده لا شريك له في إلهيته ، كما لا شريك له في ربوبيته ، ولا شبيه له في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته ، والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وسبحان من سبحت له السماوات وأملاكها ، والنجوم وأفلاكها ، والأرض وسكانها ، والبحار وحيتانها ، والنجوم والجبال ، والشجر والدواب ، والآكام والرمال ، وكل رطب ويابس ، وكل حي وميت ( تسبح له السماوات السبع والأرض ومَن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا )

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة قامت بها الأرض والسماوات ، وخلقت لأجلها المخلوقات ، وبها أرسل الله تعالى رسله ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه ، ولأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدواوين ، وقام سوق الجنة والنار ، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار ، والأبرار والفجار ، فهي منشأ الخلق

والأمر ، والثواب والعقاب ، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة ، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب ، وعليها يقع الثواب والعقاب ، وعليها نصبت القبلة ، وعليها أسست الملة ، ولأجلها جرت سيوف الجهاد ، وهي حق الله على العباد [(1)]. أما بعد :

فإنَّ من أَجَلّ النعم الربانية علي ، المقال الَّذي رَفَعَتْهُ الشَّبَكَةُ السلفية (الألوكة) ، والذي هو بعنوان " إبطال الدين النصراني بكلمة من القرآن " وله قصة كانت الأصل له ، وهي أنه لما اختلط النور بالظلام ، وتغلب النور على الظلام بأن دخل الليل ، كنت على الراحة والاستجمام ، الذين هما فرض الباحث ، فألهمني الرب بأن أسطر أحرفا ، تتعلق بالدين النصراني الباطل ؛ لأجل النصيحة للنصارى الذين اعتنقوا الدين النصراني ، والتحذير للأمة المسلمة التي هي الروح المتصل بالجسد ، فكتبت الذي قدر لي أن أكتبه ، ولما ذهب الليل بأكثره ، تسلق اللص إلى المنزل ، وكان الهاتف – والحال تلك – بالقرب مني ، خلافا للعادة ، نتيجة التعب البالغ – من الكتابة وغيرها – ، فأخذ اللص الهاتف ، وذهب معه المقال ، ولم يصبني الحزن إلا لأجل المقال ، وقلت بأني على غنى عن الجوال ، إلا المقال ، فإنه لا يمكنني الاستغناء عنه ، فسالت الدموع من العينين ، واضطربت النفس والقدمين ، فقمت بالذهاب إلى المسجد تبكرا ، فأخذت بالدعاء ، تضرعا للخالق الذي له العَلْياء ، الذي له الرحمة بمن خلق ، وهو أقرب منهم من ( حبل الوريد ) ، فأقسمت عليه – جَلَّ ثناؤه – بأن يحفظ لي المقال ، وأن لا أفقده بحال ، فعدت إلى المنزل ، فألهمني

(1) مقتبسة من (زاد المعاد 1/33-34) لابن القيم

الذي ضاع مني وزيادة ، فكان الذي كتبته في الورقة تلك ، النواة للذي خرج على ثوب المقال ، فلك الحمد يا رباه العزيز المتعال

وقلت – بعد ذلك – : لا بد من الزيادة عليه ، وإخراجه بحلة الكتب ، أو الكتيبات الصغيرات ، فلعل الله أن يكتب له بذلك النفع أكثر ، ولعله أراد من ذلك أمرا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

✍ كتبه/

ناصر الدين عبدالرحمن طاهر

يوم الأربعاء ، 17/جمادى الأول/1443

# إبطال الدين النصراني بكلمة القرآن الكريم

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: 116].

**قلت** : المقصود بقولي: (كلمة من القرآن)، قوله: (ابن مريم) من الآية وفيها الإبطال للدين النصراني من أوجه..

## الوجه الأول :

بيان النِّسْبَةِ الحَقّ التي تَجِبُ نسبته إليها ، وهي أنه ﴿ ابن مريم ﴾، لا الذي يقوله النصارى، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: 122]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 87].

**قال ابن جزي**[2] : واختلفت النصارى في عيسى عليه السلام؛ لأنهم لم يكن لهم علم بحقيقة أمره، ولا عندهم فيه دليل يعوَّل عليه، وإنما أخذوا دينهم الفاسد عمن

[2] هو العلامة المحقق المحرر المفسر الأصولي الفقيه المقرئ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي ، ولد – رحمه الله تعالى – عام (693) ، كان له الحظ الأوفر من التدين والتخلق بالأخلاق الفاضلة ، إضافة إلى العلم الشرعي الذي له فيه النصيب الأوفر ، ولو لم يكن له من الأثر إلا كتابه : ( التسهيل ) لكفى ،وهو الذي قال :

لكل بني الدنيا مـراد ومقصد وإن مـرادي صحة وفراغ

لا يوثق به، وبنوه على أكاذيب ومنامات، وأمور لا تصح، ولذلك سماهم الله تعالى ضالين.

وقال : والدليل على بطلان قولهم من أربعة أوجه :

١- أن الله تعالى قادر على أن يخلق ولدًا من غير والد.

٢- أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده ، والله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: 11]، وقد كان عيسى وأمه من جنس بني آدم.

٣- أن كل موجود سوى الله فهو غيره؛ لأنه خلقه وأوجده، فلا يكون ولدًا له؛ انتهى ملخصًا.[3]

## الوجه الثاني

في النسبة له إلى الأم : التصريح بأن له أصلًا ، وهو من البشر، وهو على الضعف المذكور في قوله : ﴿ وخُلِقَ الإنسانُ ضَعيفًا ﴾ ، فأفاد القطع بعدم حصول النفع منه ؛ للعلة المذكورة

---

لأبلغ فـي علم الشريعة مبلغا يكون به لي للجنان بـلاغ

وله أيضا : ( القوانين الفقهية ) ، و ( تقريب الوصول إلى علم الأصول ) ، وقد قرأنا الأخيرعلى أحد الشيوخ ، وللأول طبعات عدة ، وأفضلها التي صدرت عن دار ابن حزم ، بتحقيق : ماجد الحموي

وانظر : نفح الطيب (514/5) للمقري ، و الدرر الكامنة (446/3) لابن حجر ، والأعلام (221/6)

[3] (النور المبين ص ٤٤) لابن جزي الكلبي الغرناطي

فعلم من ذلك أن له ضعفين:

**الأول:** الذي صرح به القرآن من الضعف الذي خُلق عليه الإنسان ، فأفاد منع حصول النفع منه.

**الثاني:** النسبة له إلى الأم ، وهو بعينه مقرر لعدم استحقاقه العبادة ؛ إذ فيه أنه مخلوق لله ، فكيف يستحق العبادة مخلوق؟

وعُلِمَ منه عجزه عن الخلق بالأولى ، إذ هو مخلوق بحَدِّ ذاته ، فكيف له الخلق لمن هو مثله أو دونه من الخلق؟

والقول بعدم القدرة له على الخلق: عام في الخلق جميعًا ، فلا يمكنه الخلق لمثقال ذرة ، أو الخلق لحبة من الحبات ، أو لغير المذكورين ؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ [الحج: 73].

وإذا علم ذلك ، علم منه أنه لا يستحق أن يكون ربا ؛ إذ المخلوق القاصر عن الخلق والنفع ، عن الربوبية أبعد من بُعد الشمس من المغرب ؛ إذ من الباطل القول بأنه ثمة رب لا يخلق أو يملك ، فكيف وُصِفَ بكونه الرب وهو لا يخلق ، وكيف وصف بكونه الرب الإله وهو لا يملك ، فمثل القول بنسبة المسيح إلى الربوبية، كالقول بنسبة غير الطبيب إلى الأطباء ، فهو ليس بطبيب ، فكيف يكون طبيبًا ، والمسيح ليس برب، فكيف يكون ربا؟

## الوجه الثالث :

التقرير لإحدى النِّعَمِ الربانية ، وهو خلقه وإيجاده ، فشَهِدَ الربُّ بأنه الذي خلقه ، ما يوجب الإذعان له فيه ، والشكر له عليه ، وأداء الحق الذي من أجله خلقه ، فيُخْلَص بذلك إلى أن في قوله: ﴿ ابنَ مَرْيَم ﴾ الإبطال للدين النصراني الباطل ، من أصله وفصله ، ففيه الإذعان لله الخالق بأنه الخالق ، وفيه التصريح بعجز المسيح عن النفع ، وعن الخلق ، وبيان أن الرب هو الله الذي خلق المسيح وأمه والناس جميعًا ، وفيه الرد على القول الذي على الضد منه، ما يدفع الكفرة إلى الإذعان للحق ، وإلى الدخول في الدين الذي جاء به النبي لنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إن كانوا ذا عقل وصدق في اتباع عيسى ، فإن من الطاعة لعيسى الطاعة لمحمد، ومن لم يدخل في الإسلام الذي به جاء محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد كفر بالله والأنبياء جميعًا، فلله الحمد والمنة على ما أنعم وألْهَم.

وقد شهِد له بذلك الأوَّلون من النصارى ، فهذا الرجل الصالح – الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في أوائل الوحي –: ورقة بن نوفل، يقر له بأنه الذي اختاره الرب بأن يكون النبي الذي يعقب النبي عيسى ، فأخرج البخاري في الصحيح عن الأم الطاهرة عائشة رضي الله عنها في قصة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه : فانطَلَقَتْ به خديجة حتى أَتَتْ به وَرَقَةَ بن نَوْفَل – ابن عم خديجة – وكان امْرَأً قد تَنَصَّرَ في الجاهلية – إلى أن قالت – فقال له ورقة: هذا النَّامُوس الذي نَزَّلَ الله على موسى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعٌ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إذ يُخْرِجُك قَوْمُكَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ))؟ قال: نَعَمْ، لَمْ يأتِ رَجُلٌ قَطْ

بِمِثْلِ ما جِئْتَ به إلا عُوْدِيَ، وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُك أنصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثم لم يَنشب ورقة أن تُوُفِّيَ وَفتَرَ الوَحْي.[4]

فإذا أقر له الذي لم يبلغ الرسالة ، فما الذي منع الذين حضروه ، وعملوا منه الصدق والأمانة ، والتَّدَيُّنَ والصيانة ، وما له من الشرف الذي بلغ العلم به الاضطرار ، وهو منهم وفيهم ، ففيهم ولد ، وفيهم نبت ، وأخبر النبي المسيح بأنه يأتي بعده ، رسولًا لهم ، مبشرًا الذين أطاعوه ، ومنذرًا الذين عصوه ، بل نعته لهم بنعوت منها : أن اسمه أحمد ، وأحمد هو نفسه النبي صلى الله عليه وسلم ، بل ضَمَّنَ الخبر البشارة به ، فهو بحد ذاته بشرى ، وهو بِحَدِّ ذاته نعمة ، وهو بحد ذاته رحمة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] ، فما الذي منع النصارى من الإيمان به ، وامتثال الذي أمر به النبي المسيح ، كما فعل ورقة؟!

لا ريب في أنَّهم بذلك ، قد كفروا بالله والمسيح ، وقد تشبه به الجم الغفير من المعاصرين ، منهم :

**أولًا**: توماس كارليل ، قال: فمحمد هو الذي إنه رسول من عند الله، وبرهن على صدق قوله بدين نشره في الناس، أخذه مئات من الملايين، ومضى عليهم في ذلك قرون طويلة، وهم يحبون دينهم هذا، ويتحمسون له أكبر تحمُّسٍ[5].

---

[4] أخرجه البخاري في ( الجامع الصحيح 7/1 )

[5] محمد صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء التاريخ (ص/530) للأستاذ أحمد ديدات ،

**ثانيًا**: ويليام

قال: امتاز محمد بوضوح كلامه، ويسر دينه[6].

**ثالثًا**: غوستاف

قال: محمد هو أعظم الرجال الذين عرَفهم التاريخ[7].

**رابعًا**: واشينجتون

لقد كان محمد عادلًا في تعاملاته، وعامل الأصدقاء والأجانب: الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، بالسوية، وكان محبوبًا من العامة لدماثته معهم، واستماعه لشكاويهم[8].

**خامسًا**: الفيلسوف الفرنسي الشهير روجيه جارودي:

قال في كتابه «الإسلام وأزمة الغرب»: «إن الإسلام أنقذ العالم من الانحطاط والفوضى، وإن القرآن الكريم أعاد لملايين البشر الوعي بالبعد الإسلامي ومنحهم روحًا جديدة»؛ منقول.

**سادسًا**: برنارد شو-

---

(6) حياة محمد ( ص/31)

(7) الصحيح المصطفى (ص/545) ، و (mohamet and his successor 1850)

(8) http://www.mtaq.com/forums/showthread.php?t=85838

قال: «لو تولى العالم الأوروبي رجل مثل محمد لشفاه من علله كافة، بل يجب أن يُدْعى منقذ الإنسانية.. إنني أعتقد أن الديانة المحمدية هي الديانة الوحيدة التي تجمع كل الشرائط اللازمة، وتكون موافقة لكل مرافق الحياة، لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولًا لدى أوروبا غدًا، وقد بدا يكون مقبولًا لديها اليوم، ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكل العالم».

وكذا النجاشي وغيره ، فعلم من ذلك أن العبرة بالحق ، والتوفيق له ، وأنَّ الذين أقروا له بالرسالة ، وآمنوا به ، كانوا على التجرد للحق ، وقبوله ممن كان ، وأن الذي امتنع عن الإذعان للحق والقول به ، إنما المستند له التعصب الذميم ، وعلى فَرْضِ القول بأن الذي عليه الكفرة الآن، هو طِبْقُ الذي جاء به المسيح، فإنه لن يفيدهم التدين بدين المسيح ؛ لتصريح النبي صلى الله عليه وسلم ببطلان الدين النصراني بعد الرسالة المحمدية ، وإخبار المسيح نفسه به؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: 6].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (( والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِه الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ ))؛ أخرجه مسلم.[9]

[9] في (93/1) ، وأخرجه الإمام أحمد في ( المسند 522/13) وفي (261/14) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال الإمام النووي (348/2) : وأما الحديث ففيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور وهذا جار على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله أعلم .

وقال أيضا (348/2) : وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى . والله أعلم

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]، وقال جل ثناؤه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: 28].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وكان النبي يُبْعَثُ إلى قومه خاصة وبُعِثْتُ إلى الناس عامة )) ؛ أخرجه البخاري[10]

---

[10] هذه قطعة من الحديث الذي أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ( 4/ 85 ، 95/1) برقم(3122) ، و(438) ، والإمام مسلم في الصحيح (63/2) ، وتمامه : عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود . وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي . وجعلت لي الأرض طيبة طهورا مسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان . ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة )) وهذا لفظ مسلم ، قال الحافظ النووي : معناه = أنَّ من كان قبلنا إنما أبيح لهم الصلوات في مواضع مخصوصة ، قال القاضي : وقيل : إن من كان قبلنا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض ، وخصنا نحن بجواز الصلاة في جميع الأرض غلا ما تيقنا نجاسته ، وتعقب الأخير الحافظ بقوله : والأظهر ما قاله الخطابي : وهو أنَّ مَن قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في= أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ : " وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم " . وهذا نص في محل النزاع .

قال شيخ الاسلام (الجواب الصحيح ١/٣٦٨): والمقصود هنا: أن الذي يدين به المسلمون من أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – رسول إلى الثقلين: الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله.

قلت: تَوَهَّمَ النصارى ، أن الذي هم عليه من التثليث والقول بأن المسيح ابن الله ، قائد لهم إلى الجنان ، والظفر بنعيم الرحمن، في حين أن الذي صرح به القرآن خلافَ ذلك، وأن الدين الذي رضيه الله للخلق : هو الذي جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم لا غير ، وأن الذي هم عليه ، ضلال لا غير ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [البينة: 6].

قال شيخ الإسلام: ولهذا كان كفر النصارى لما بعث محمد – صلى الله عليه وسلم – مثل كفر اليهود، لما بعث المسيح – عليه السلام. [11]

وقال أيضًا : فهذا كما أن من كان متبعًا شرع التوراة عند مبعث المسيح، كان متمسكًا بالحق، كسائر من اتبع موسى، فلما بعث المسيح صار كل من لم يؤمن به

---

**فائدة :** قال الحفظ في الفتح : قوله : ( وطهورا ) : استدل به على أن الطهور هو المطهر لغيره ؛ لأن الطهور لو كان المراد به الطاهر لم تثبت الخصوصية ، والحديث إنما سيق لإثباتها . وقد روى ابن المنذر وابن الجارود بإسناد صحيح عن أتنس مرفوعا : " جعلت لي كل أرض طيبة مسجدا وطهورا " ومعنى : طيبة طاهرة ، فلو كان معنى طهورا طاهرا للزم تحصيل الحاصل ، واستدل به على أن التيمم يرفع الحديث كالماء لاشتراكهما

[11] انظر : ( مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١/٣٦٨ ) لابن قاسم النجدي

كافرًا، وكذلك لما بعث محمد – صلى الله عليه وسلم – صار كل من لم يؤمن به كافرًا.(12)

والحق الذي يقول به المسلمون : أن الله الذي خلق المسيح ، إله واحد أحد ، لا شريك له ، ولا مثيل له من الخلق ، بل للخلق من الصفات اللائقة بهم ، وله الذي يليق به منها ، وهو الذي أوجد الذي لهم منها بالصفة التي أرادها ، وبالوضع الذي أراده ، فهو من خلقها ، وهو من يملكها ، فلا لأحد التصرف فيها التصرف الذي منع منه ، بل الإثم على الذي أتلف أحد أعضائه ، أو تخلص منه من دون الموجب لذلك ، بل الوعيد على الذي تخلص من نفسه ، فهم له ، تحت ملكه ، خاضعين لما أمر ، فاعلين له ؛ قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180].

**قال الإمام الشافعي :**

لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، أما قبول ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا

(12) المصدر السابق : (٣٦٩/١)

يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها.[13]

وقال في الرسالة (ص/٦): ولا يبلغ الواصفون كُنهَ عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه.

**وقال القحطاني في (النونية):**

551- لا تفتكر في ذات ربك واعتبر ** فيما به يتصرف الملوان

552- والله ربي ما تكيف ذاته ** بخواطر الأوهام والأذهان

553- أمرر أحاديث الصفات كما أتت ** من غير تأويل ولا هذيان

554- هو مذهب الزهري ووافق مالك ** وكلاهما في شرعنا علمان [14]

وقال أيضًا:

565- لسنا نشبه ربنا بعباده ** ربٌّ وعبدٌ كيف يشتبهان [15]

**قال شيخ الإسلام** : ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ،

---

[13] انظر : العلو (ص١٢١)

[14] انظر : ( نونية الإمام القحطاني )

[15] انظر : المصدر السابق بالأرقام المسطرة أعلى

وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.[16]

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه وتعالى لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون؛ انتهى.

**وقال**: وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة عما جاءت به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم؛ انتهى.[17]

## ۞ فوائد

### ❖ الفائدة الأولى :

**قال أبو سليمان الخطابي** : ومن علم هذا الباب، أعني الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام.

---

[16] انظر : الواسطية مع شرح الرشيد (ص٧١)

[17] انظر : المصدر السابق

فالجواد لا يجوز عليه السخي ، وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام ، وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد ؛ انتهى.

### ❖ الفائدة الثانية :

**قال ابن القيم** : إن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله.[18]

### ❖ الفائدة الثالثة :

**قال ابن القيم** : الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تُحَدُّ بعدد، فإنَّ لله تعالى أسماءً وصفاتٍ استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمُها مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَل.[19]

### ❖ الفائدة الرابعة :

**قال ابن القيم** : ولكن بحمد الله لم يتنازعوا – أي الصحابة – في مسألة واحدة من من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يسموها تأويلا ، ولم يحرفوها عن موضعها تبديلا ، ولم يبدو لشيء منها إبطالا ، ولا ضربوا لها أمثالا ، ولم يدفعوا في

---

[18] انظر : بدائع الفوائد (١/١٦٢) للعلامة ابن القيم

[19] انظر : المصدر السابق ( ١/١٦٦)

صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها ، وحملها على مجازها ، بل تلوقوها بالقبول والتسليم . انتهى[20]

## ❖ الفائدة الخامسة :

قال الغرناطي : اعلم أن الله سبحانه حي لا يموت ، وأنه الأول قبل كل شيء ، والآخرُ الباقي بعد فناء كل شيء ، وأنه عليم بكل شيء ، يعلم السر وأخفى ، و ﴿ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ وأنه مريد للكائنات ، ﴿ فعال لما يريد ﴾ فلا يجري في الملكوت شيء إلا بقضائه وقدره ومشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه تعالى قدير على كل شيء ، وأنه متكلم سميع بصير ، يسمع كل شيء ويرى كل شيء

### ويدل على إثبات هذه الصفات ثلاثة أوجه :

**الوجه الأول** : أن هذه الصفات صفات كمال وجلال ، وأضدادها صفات نقص كالعجز والجهل ، والله تعالى لا يتصف بالنقائص ، فوجب وصفه بأضدادها

وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون ﴾

**الوجه الثاني** : أن هذه الصفات ورد بها الشرع ، فوجب الإيمان بها..

---

[20] انظر : ( إعلام الموقعين 9/1 )

ثم أخذ بذكر الصفات الواردة في القرآن والاستدلال لها

**الوجه الثالث** : الاستدلال على كل صفة بدليلها

وذلك أن مصنوعاته – سبحانه – محكمة الصَّنعة ، ومخلوقاته متقنة الخلقة ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾

فدل تصرفه في المخلوقات ، وتدبيره للملكوت ، وحفظه للأرض والسماوات على حياته ، قال تعالى : ﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾[21] قال في التسهيل (ص/٣٩) : قيوم : اسم الله تعالى ، وَزْنُه فيعول ، وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور ، معناه : مدبر الخلائق في الدنيا والآخرة ، ومنه ﴿ قَائم عَلَى كُلّ نَفْس ﴾

❖ **خاتمة الفوائد :**

قال ابن القيم في (الكافية الشافية):

أسماؤه أوصاف مدح كلها ** مشتقة قد حملت لمعان

إياك والإلحاد فيها إنه ** كفر معاذ الله من كفران

وحقيقة الإلحاد فيها الميل ** بالإشراك والتعطيل والكفران

والغريب : إقرار الكفرة بقتل المسيح ، بل والقول به ، ثم إيمان القوم بأنه الرب بعد الإيمان بقَتْلِهِ، فأيُّ رب يقْتُله الذين خلقهم ، بل ويوطئوا له بأن يصلبوه ، ويضعوا

[21] انظر : النور المبين (ص/٥٢)

المسمار على يده ، وهو منهم بالقرب ، خاضع لهم ، عاجز عن القيام بما يدفع به الشر الذي جلبوه له ، بل انقاد لهم إلى القتل والتخلص منه ، فأي رب هذا ؟ وأي إله هذا ؟؟

أعُبَّادَ المسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ ** نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ

إذا ماتَ الإلهُ بِصُنْعِ قومٍ ** أمَاتُوهُ فَما هذَا الإلهُ؟

وَهَلْ أرضاه ما نَالُوهُ مِنْهُ؟ ** فبُشْرَاهمْ إذا نالُوا رِضَاهُ

وَإنْ سَخِطَ الّذِى فَعَلُوهُ ** فيه فَقُوَّتُهُمْ إذًا أوْهَتْ قُوَاهُ

وَهَلْ بَقِى الوُجُودُ بِلاَ إلهٍ ** سَمِيعٍ يَسْتَجِيبُ لَمِنْ دَعَاهُ؟[22]

ومن الذي يقول به المسلمون: (أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه) ، وأن الرب الذي خلق المسيح وأمه، قد جعلهما آيتين: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 91] ، وأن له القدرة والإمكان على كل شيء أراده، بحيث إن قال للشيء: كن كان؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: 82].

وقال الشاعر:

**إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فإنَّما ** يَقُولُ لَهُ كُنْ قَوْلَةً فيكونُ**

[22] قطعة من أبيات ابن القيم المشهورة في النصارى ، وانظر : ( إغاثة اللهفان 2/290-292)

ومن فروع الأصل هذا، (كُنِ) المتعلقة بالمسيح، فلم يكن ليكون، لولا كن الصادرة من الرب وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء: 171].

**قال الحافظ ابن كثير معلقًا:**

أي إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وخَلق مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ لَهُ: كُنْ فَكَانَ، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، أَيْ: خَلقَه بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى مَرْيَمَ، فَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانَ عِيسَى بِإِذْنِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، قال الإمام أحمد: بالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: ((كن))، فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو ((كن))، ولكن بكن كان، فكن من الله تعالى قول، وليس ((كن)) مخلوقًا، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى[8].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: 171]

**قلت:** قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

١- أجمع التعريفات للمسيح ، ففيه بيان النسبة الحق له ، والذي به خلق: وهو تحديدًا في قوله: ﴿ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، وقوله: ﴿ ورُوحٌ منه ﴾

٢- وفيه بيان الموقع الشرعي له ، وهو أنه ﴿ رسول الله ﴾ ، وكل قول له الحظ من المخالفة للآية ، فهو باطل ، صارخ بالشهادة بالبطلان على نفسه ، بِنَصِّ الآية.

**قال ابن جُزَي الكلبي :**

اعلم أن عيسى ابن مريم – صلى الله على محمد وعليه – عبدٌ من عباد الله ورسول من رسله ، خلقه الله في بطن أمه مريمَ الصديقية من غير والد ، وظهر على يده معجزات تدل على نبوته ورسالته ، وهي التي ذكرها في القرآن : من كلامه في المهد ، وإحيائه الموتى وغير ذلك ، وكلها واقعة بإذن الله وقدرته .

وغلت النصارى – لعنهم الله – في أمره ، وكفروا كفرا شنيعا لا تقبله العقول ولا ترضاه الملل ، وقد دعاهم الله تعالى إلى الرجوع عن كفرهم وباطلهم فقال تعالى:﴿ يا أهلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُم وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الحَقَّ إنَّما المسيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوح منه ﴾. انتهى[23]

### حقائق

### ❖أناجيل النصارى التي بأيدهم ليست من عند الله

[23] النور المبين (ص/٤٣ )

**قال أبو محمد ابن حزم الأندلسي**: وأما الإنجيل وكتب النصارى فنحن إن شاء الله موردون من الكذب المنصوص في أناجيلهم ومن التناقض الذي فيها أمرا لا يشك كل من رآه في أنهم لا عقول لهم وأنهم مخذولون جملة.

وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مسكة عقل ، ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ، ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء ، التي عند اليهود لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من الله عز وجل على موسى عليه السلام . فاحتجنا إلى إقامة برهان على بطلان دعواهم في ذلك . وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح ، ولا أن المسيح عليه السلام أتاهم بها ، بل كلهم أولهم عن آخرهم أريوسيهم ، وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبهم ومارونهم وبولقانيهم لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة[24] .

## ❖ مدار النقل للأناجيل على كذابين خبيثين

ذكر العلامة ابن حزم أنَّ الأناجيل تلك ، ألفها أربعٌ معروفون

فالأول : ألفه (( متى )) اللاواني

والثاني : ألفه ((مرقس )) الهاروني تلميذ شمعون بن يونا ، المسمى (( باطرة ))

والثالث : ألفه (( لوقا )) الطبيب الأنطاكي ، تلميذ (( شمعون باطرة ))

والرابع : تاريخ ل(( يوحنا بن سبذاي ))

---

[24] (الفصل ٢/١٣) للعلامة ابن حزم الأندلسي ( ت: 456 هـ )

وورد أن جميع نقل النصارى ، راجع إلى ثلاثة فقط ، وهم : بولس ، وماقرس ، ولوقا ، ونقل الثلاثة عن خمسة فقط ، وهم : باطرة ، ومتّى ، ويوحنا ، ويعقوب ويهوذا ، وأثبت العلامة ابن حزم أن المذكورين من الذين نقلوا الإنجيل ، من أكذب البرية ، ومن أشر البرية ، ومن أفجرهم

قال أبو محمد ( الفصل ١٩/٢ ) : ويصح عند كل من طالع كلامنا هذا أن الذين كتبوا الأناجيل وألفوها كانوا كذابين ، مجاهرين بالكذب لتكاذيبهم فيما أورده فيها من الأخبار ، وأنهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغتر بهم والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام ، السالم من كل غش ، البريء من كل توليد ، الوارد من عند الله تعالى لا من عمل أحد دونه

## ❖ المسيح ليس إلا عبد من عبيد الله بشهادة المسيح

قال المسيح : لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني[25] .

[26]قال أبو محمد : فهل في العبودية والتذلل بالحق لله تعالى أكثر من هذا ؟

وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : أنا رجل أديت إليكم الحق الذي سمعته عن الله

**قال أبو محمد ابن حزم** : فهذا إقراره بأنه رجل صالح يؤدي ما سمع فقط . مع استشهادهم في الباب الثاني عشر من إنجيل متى : إن الله تعالى قال فيه : ( هذا غلامي المصطفى ، وحبيبي الذي تخيرت ) فصح أنه نبي من الأنبياء، وعبدالله فقط

---

(25) الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا

(26) الفصل (١٨٠/٢ )

## ❖ الجنة حرام على كل غني عند النصارى ، والله المستعان

في الثامن من إنجيل مارش : أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه : إن دخول الجمل في سم الخياط أهون من دخول المثرى في ملكوت الله .[27]

قال أبو محمد : هذا قطع من كلامه بأن كل غني لا يدخل الجنة أبدا وفي أتباعه أغنياء كثير ، وما رأينا أمة أحرص على جمع المال وغير ذلك ، وادخاره ومنعه دون أن ينتفعوا منه بشيء ، ولا أن يتصدقوا منه بشيء من الأساقفة والقسيسين ، والرهبان في كل دير ، وكل كنيسة في كل بلد ، في كل وقت . فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وهذا والله حق ، وأنا على ذلكم من الشاهدين.. انتهى

## ❖ صفة رسول الله وعبده عيسى عليه الصلاة والسلام

قال الإمام البخاري في (الجامع الصحيح 167/4) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ المَكِّيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِيسَى أَحْمَرُ، وَلَكِنْ قَالَ: " بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبْطُ الشَّعَرِ، يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً، أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ، شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ " **قَالَ الزُّهْرِيُّ**: رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ، هَلَكَ فِي الجَاهِلِيَّةِ

---

[27] المصدر السابق

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي: " رأيت موسى: وإذا هو رجل ضرب رجل، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس، وأنا أشبه ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم به، ثم أتيت بإناءين: في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل: أخذت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك "[28]

## ❖ اضطراب الدين النصراني

**قال الحافظ ابن كثير** : والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر فمنهم من يعتقده إلها ومنهم من يعتقده شريكا ومنهم من يعتقده ولدا وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولا ولقد ذكر بعض علمائهم المشاهير عندهم وهو سعيد بن بطريق بترك الإسكندرية في حدود سنة أربع مئة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه إختلافا لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أزيد من ألفين أسقفا فكانوا أحزابا كثيرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة ومئة على مقالة وسبعون على مقالة وأزيد من ذلك وأنقص فلما رأى منهم عصابة قد زادوا على الثلاث مئة بثمانية عشر نفرا وقد توافقوا على مقالة فأخذها الملك ونصرها وأيدها وكان فيلسوفا داهية ومحق ما

[28] انظر : الجامع الصحيح ( 152/4) ، وصحيح الإمام مسلم ( 151/1)

عداها من الأقوال وانتظم دست أولئك الثلاث مئة والثمانية عشر وبنيت لهم الكنائس ووضعوا لهم كتبا وقوانين وأحدثوا فيها الأمانة التي يلقونها الولدان من الصغار ليعتقدوها ويعمدونهم عليها وأتباع هؤلاء هم الملكية ثم إنهم اجتمعوا مجمعا ثانيا فحدث فيهم اليعقوبية ثم مجمعا ثالثا فحدث فيهم النسطورية وكل هذه الفرق تثبت الأقانيم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل أتحد أوما اتحدا أو امتزجا أو حل فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفرقة الأخرى ونحن نكفر الثلاثة ولهذا قال تعالى « إنتهوا خيرا لكم »أي يكن خيرا لكم « إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد » أي تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا « له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا » أي الجميع ملكه وخلقه وجميع ما فيهما عبيده وهم تحت تدبيره وتصريفه وهو وكيل على كل شيء فكيف يكون له منهم صاحبة وولد كما قال في الآية الأخرى « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد » الآية وقال تعالى « إتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاإدا » إلى قوله « فردا »[29]

## ❖ هل المسيح يرضى بالصليب ؟؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (( واللهِ لَيَنْزلَنَّ ابْنُ مريمَ حَكَمًا عادِلاً . فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنزير ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ ، وَلَتُتْرَكَنَّ القِلَاصُ فلا يُسْعَى عَلَيْها . وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاء وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إلى المالِ فلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ ))[30]

---

[29] تفسير القرآن العظيم ( 786/1) للحافظ ابن كثير السلفي الدمشقي

[30] أخرجه البخاري ومسلم

### ❖ وقفة

هل للنصارى الاتفاق على ألوهية المسيح ؟؟

فعلى القول بالاختلاف– وهو الحاصل– ، هل هو بذلك على الاضطراب أم لا؟ فإن قيل بالثاني ، لقيل بأن الواقع رَدٌّ للقول باستقامة الدين النصراني ، إذ ورد عنهم القول بأنه الإله مرة ، (وَمرَّة هُوَ ابْن يُوسُف ، وَابْن دَاوُد وَابْن الْإِنْسَان وَمرَّة هُوَ إِلَه يخلق ويرزق وَمرَّة هُوَ خروف الله وَمرَّة هُوَ فِي الله وَالله فِيهِ وَمرَّة هُوَ فِي تلاميذه فِيهِ وَمرَّة هُوَ علم الله وَقدرته وَمرَّة لَا يحكم على أحد وَلَا ينفذ إِرَادَته وَمرَّة هُوَ نَبِي وَغُلَام الله وَمرَّة أسلمه الله إِلَى أعدائه )[31] ، ولا يمكن الحصر للأقوال ها هنا ، وهو أيضا ، متعذر أو متعسر ، فإذا علم ذلك ، علم أن الدين النصراني قام على الظن والشك في المسيح ، فهل هو إله أم لا ؟؟ وهل له الند أم لا ؟؟ وهل هو واحد أم لا ؟؟؟

وعلم منه فساد الدين النصراني ، وأن ذلك أقل الأدلة في الدلالة على بطلانه ، فمن اللحظة هذه ، أدعو النصراني ، للتأمل والنظر في الدين النصراني ، بطرح الأسئلة هذه عليه ، فأقول : هل الدين النصراني قام على التعبد لله وحده أم لا ؟؟ وإذا كان له الحظ من التعبد لله ، فهل له الحظ من اتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أم لا ؟؟ وإذا لم يكن الدين النصراني على التعبد لله وحده ، فمَن له الحق للتعبد غير ربنا الرحمن الذي خلق الخلق كله ، فكل شيء من خلقه وصنعه ، وهو له خاضع ، ذليل ، مطيع له ، ولما أمر به فاعل ، ولا يمكن أن يعصي الله جل جلاله إلا الجن والإنس ، وعلى فرض التعبد لله وحده ، واتباع صراط الله الذي به جاء الرسول في حق النصارى ، يجب الاتباع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ

---

[31] ما بين قوسين : من كلام أبي محمد ابن حزم في الفصل ( 59/2)

الرب قد أرسله لنا ، لا المسيح ، ومن لم يكن له طائع ، لم يكن لله طائع ، إذ { مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللّهَ }

وهل لك الرضى – أيها النصراني – بالتعبد للصليب وهو من صنع اليد التي خلقها الله لك ؟؟

وهل لعاقل التذلل للخشب والتعبد له ؟؟

وما الفرق بين الصليب الذي صنع من الخشب وبين الخشب العادي ؟؟

وهل له التذلل للخشب العادي ؟؟

وكيف له التذلل للخشب الصليبي إذا لم يكن له التذلل للخشب ؟؟

وهل له التذلل والتعبد للمسيح ؟؟ ولِمَ التذلل للمسيح دون بقية البشر ؟؟

**قلت** : من الفروق بين الدين الإسلامي والنصراني ، أن الدين النصراني على التحريف والمخالفة الصريحة للذي علم بالضرورة الفطرية ، وأنه على الكذب على الله والرسول والمؤمنين ، وأنه على التناقض والتجاذب ، وأنه وقع الخلاف في صحة الدين النصراني بين النصارى أنفسهم ، وأن الدين الإسلامي الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم ، لعلى الحق المبين ، والصراط المستقيم ، وأن رب العالمين قد ضمن له الحفظ للقرآن الذي هو المرجع الأول فيه {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } خلافا للدين النصراني ، الذي حرفه أهله ، وضيع أهله الكتاب المنزل لهم ، ورضوا بما سطره لهم أولوا الأمر منهم ، حتى زعموا له النسبة إلى الرب العظيم ، وأحدثوا له الكفيريات الجليات ، التي الرد عليها الفطرة التي فطر الله النايس عليها ، كما قال أبو محمد : وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مُسْكة عقل . انتهى

فمَن له الحكم في الدين النصراني ، ومن له الأمر فيه ، أهو الله الذي نطق الكتاب – هذا – بتبديل كتابه ، أم النصارى أنفسهم قد حكموا أنفسهم بأنفسهم ،

وتعبدوا لأنفسهم بأنفسهم ، بأن وضعوا الكتب فيه ، وزعموا التعبد بها ، وليس ثمة مفر من التعبد لأنفسهم بأنفسهم – والحال هذه – ، إذ الذين حرفوا الكتاب المنزل منهم ، وقبل ذلك النصارى ، بل زادوا عليه تحريفات أخر ، والله المستعان !!!

## ۞ قياس:

الله الذي خلق الطِّباق السبع ، و الأرضين السبع كذلك ، والخلق لذَيْن المخلوقين، أشد من الخلق للناس: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ [النازعات: 27] ، ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: 57].

ولو أراد الخلق لهما في لحظة لفعل ، فكيف بالذي دون السماء بالمرات الكثيرات ؟ أليس الذي خلق السماوات هو نفسه الذي خلق النبي المسيح ؟ ثم إن الرب جل ثناؤه: شبه الخلق لعيسى بخلقه للنبي آدم عليه السلام ، وسبق القول بأن الخلق لآدم كان من التراب، ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59]

فعُلم أن الأصل له التراب ، والنبي المسيح أصله البشر ، وما تفرع منهم من الأنثى ، وهي الطاهرة مريم ، فكان الخلق له منها ، في حين أن النبي آدم لم يكن له أصل من البشر ، إنما الأصل له التراب فقط.

فعلم الفرق بينهما في الخلق ، وأن خلق النبي آدم أعجب من خلق النبي المسيح ، إذ النبي المسيح له أصل من البشر ، والنبي آدم أصل البشر ، وهو الذي منه تفرع

البشر ، ولم يكن له منهم أصل ، فكان الخلق له من التراب ، فصار التراب الأصل له وحده..

فإذا تقرر هذا ، وعلم أن له القدرة على كل شيء ، وعلم أن له القدرة على خلق الطباق السبع في لحظة ، علم بالاضطرار إمكان الخلق للبشر الذين هم دون الطباق السبع ، وبالأولى الخلق للمسيح الذي هو أحد البشر.

## الوجه الرابع :

في قوله: (ابن مريم) ، إشعار بأن لها الفضل عليه ؛ من حيث التربية والعناية اللذين هما فرض الأمهات ، ومنه يتفرع الحق لها عليه ، وفرض الإله أن يكون له الفضل على غيره ، وأن يكون له الحق على الغير ، لا العكس ؛ قال تعالى: ﴿ وبرًّا بوالدتي ﴾، ولا يمكن القول بأن الذي نطق به المسيح وهو في السن هذه : لغوًا ، أو حشوًا ، أو كذبًا ، إذ الذي أمكنه من النطق وهو في السن هذه : ربُّهُ الذي خلقه ، وهو كما أنه لا يقول إلا الحق ، فكذا لا يُنطِقُ أحدًا من الخلق إلا بالحق.

## الوجه الخامس :

في (ابن) التصريح بافتقار المسيح إلى الذي يضاف إليه، وهو (مريم)، وفرض الإله الافتقار إليه من قبل الخلق ، لا الافتقار له للخلق ، فهو الذي احتاج إلى الحمل ، فالرضاع ، فالعناية المفروضة على الصغير حتى لا يهلك..

وَيَأْكُلُ ثُمَّ يَشْرَبُ ثُمَّ يَأْتِي ** بِلاَزِمِ ذَاكَ هَلْ هذَا إِلهُ؟

تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَارَى ** سَيُسأَلُ كُلَّهُمْ عَمَّا افْتَرَاهُ

**الوجه السادس** : شهادة المسيح لنفسه بالإضافة إلى الأم ، ما يقرر الذي قررناه ﴿ وبرًّا بوالدتي ﴾.

📖 **الوجه السابع :** في (ابن مريم) ، إشعار بأنَّ ما للأم من الرُّتْبَة والمكان ، دون الذي للولد الذي تفرع عنها ؛ من حيث الفطرة ، والسنن الكونية ، ما يقضي بانخفاض الرتبة له ، وارتفاع الرتبة لها ، وهذا الانخفاض وإن لم يكن على الإطلاق في الأمور كلها ، بل في الفطرة الربانية فحسب ، إلا أنه نقص في الإله ، وليس ذلك بخاف ؛ إذ الإله الحق أعلى من كل شيء ، في كل شيء: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: 1].

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى** : فإن الإله هو المعبود المحبوب الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده . (32)

**وقال ابن القيم رحمه الله تعالى**: الإله: هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا، وإنابة وإكرامًا، وتعظيمًا وذلًّا، وخضوعًا وخوفًا، ورجاءً وتوكلًا.(33)

فالحاصل: أن مجرَّدَ كون المسيح ابنا لها: نقص، يوجب القول بأنه ليس بإله..

(32) انظر : مجموع الفتاوى (202/13) لابن قاسم النجدي الحنبلي

(33) انظر : مدارج السالكين (32/1) للعلامة ابن القيم

📖 **الوجه الثامن :** دل لفظُ ( ابن مريم ) ، على الضروري الذي جبلت الأمهات عليه ، وهو الرحمة بالولد ، والحرص عليه الحرص التام ، وهو موجب لجلب المصالح العاجلة له ، ودرء الطارئ من المفاسد عنه ، فلأجل ذلك كان أقرب الخلق منها ، حسا ، ومعنا ، بل لا تَجِدُ الراحة حالَ بعدها عنه ، أو بُعْدِهِ عنها ، خوفا عليه من المضار ، وطلبا للتيقن بحاله ، ولأجل الرحمة تلك – أيضا – ، وما اقترن بها من الحب له ، تحملت السَّهر عليه ، وتذوقت المرارة على طعم الحلاوة ، فذلك ليس بشيء أمام تحقيق السعادة له ، وجلب الخير الدنيوي له ، بل لا فرق بين أن يتكرر السهر عليه ، وبين أن يقع مرة واحدة فقط ، فالأهمُّ الخير الذي يُطْلَبُ له..

**قلت :** إذا علم أنَّ ذلك فرض الأمهات ، أو أكثرهن ، علم أن الولد الذي وقع له من ذلك شيء ، أبعد عن الألوهية من كل بعيد ، وأبعد عن الربوبية من كل ما ادعي له البعد المطلق من الخلق ؛ إذ الإله الحق : لهو الذي يرحم غيره ، ولا يرحمه غيره ، ومن أسماءه الرحيم ، والرحمن ، وكم وردت النصوص في ذلك ،

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَن الرَّحِيم ﴾[34] ، وقال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيء ﴾[35] ، وقال : ﴿ وإلهُكُم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمنُ الرحيم ﴾[36] ، وقال : ﴿ والله

---

[34] سورة الفاتحة : الآية (2)

[35] سورة الأعراف : الآية (156)

[36] سورة البقرة : الآية (163)

غفور رحيم ﴾ [37] وقد ورد ذكر الرحمة في القرآن في أكثر من مئة موضع ، كما بيَّنْتُ ذلك في كتابي " أصول التبرج "

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (( لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي )). أخرجه البخاري ومسلمٌ وغيرهما[38]

وعن قَتَادَةُ، أَنَّ أَبَا رَافِعٍ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (( إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ)) . أخرجه البخاري[39]

ولهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (( لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي )).

---

[37] وقدر ورد بهذا اللفظ في ثلاثة عشرة موضعا من القرآن ، فورد في سورة ( البقرة 218 ) ، وفي سورة (آل عمران 31 ، 129 ) وفي سورة ( النساء 25 ) ، وفي سورة ( المائدة 74 ) ، وفي سورة ( الأنفال 70 ) ، وفي سورة ( التوبة 27 ، 91 ) ، وفي سورة ( النور 22 ) ، وفي سورة ( الحجرات 5 ) ، وفي سورة ( الحديد 28 ) ، وفي سورة (الممتحنة 7 ) ، وفي سورة ( التحريم 1 )

[38] أخرجه البخاري في ( بدء الخلق 106/4 ) ، ومسلم ( 95/8) ، والترمذي (511/5) بلفظ : " **تَغْلبُ غضبي** "

[39] أخرجه البخاري في ( التوحيد 160/9) وهو من ألفاظ الحديث السابق

وله عَنِ الزُّهْرِيِّ ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (( جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا ؛ خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ ))[40]

وفي لفظ [41]: (( إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )).

وفي لفظ ابن ماجه[42] : (( إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، قَسَمَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، فَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )).

وفي لفظ أحمد[43] : ((لو يعلم المؤمنُ ما عند الله من العقوبة ، ما طَمع في الجنة أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قَنَطَ من الجنة أحد ، خلق الله مائة رحمة ، فوضع واحدة بين خَلْقه يَتَراحَمُون بها وعندَ الله تسعةٌ وتسعون رحمةً )).

---

[40] أخرجه البخاري في ( كتاب الأدب 8/8 ) ، ومسلم (96/8 ) وغيرهما

[41] وهو لفظ الإمام مسلم في الصحيح في المرجع السابق

[42] انظر : السنن (666/5) لابن ماجه

[43] انظر : المسندة ( 139/14) من حديث أبي هريرة برقم (8415)

🕮 **الوجه التاسع :** في( ابن مريم ) : الطعن البَيِّنُ الصَّريح في الإله ، إذ الإله الحق ، مُنَزَّهٌ عن النسبة لأحد الخلق ، بل لهو الخالق للخلق ، فكيف يقال بأنه الإله بعد القول بأنه الولد لأحد الخلق ؟؟؟

أما الإله الحق ، يكون له الثناء بمجرد الذكر له ، وبمجرد النداء له ، فيقول الداعي : يا رب ، ويقول آخر : يا ملك ، ويقول آخر : يا رحيم ، ويقول آخر : يا كريم ، ويقول آخر : يا عزيز...

وكله له ثناء – جل ثناؤه – ، بخلاف : ( ابن مريم ) فإنه طعن جلي إن أريد أنه الإله ، فكيف لإله النسبة لأحد الخلق ؟؟

بل الإله الحق ، لتسجد له الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَات ومَن في الأَرْض وَالقَمَرُ والنُّجُومُ والجبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وَكَثير منَ النَّاس ﴾ الآيةَ ، وقال تعالى : ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ : (( يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ ؟ )). قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : (( فَإِنَّهَا تَذْهَبُ

تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا )) . ثُمَّ قَرَأَ : " ( ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا ) ". فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ.[44]

وأخرج الترمذي[45] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا، وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ لِي جَدُّكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ..

---

[44] أخرجه البخاري في ( التوحيد 125/9 ، رقم 7424 ) ، وفي لفظ مسلم (96/1) : أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا : ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ".

[45] في السنن (577/1) رقم (579)

وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه وأما الجبال والشجر فسجودهما بفئ ظلالهما عن اليمين والشمائل .

بل إن الإله الحق ، لتسبح له الطباق السبع والأرض ومن فيهن ﴿ تُسَبّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ وَمَن فيهنَّ ﴾ ، بل ﴿ وإن من شَيْء إلا يُسَبحُ بحَمْده وَلَكن لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُم ﴾

قال ابن القيم : وسبحان الله وبحمده ، وعدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزِنَة عرشه ، ومداد كلماته . ولا إله إلا الله وحده ، لا شريك له في إلهيته ، كما لا شريك له في ربوبيته ، ولا شبيه له في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته ، والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وسبحان من سبحت له السماوات وأملاكها ، والنجوم وأفلاكها ، والأرض وسكانها ، والبحار وحيتانها ، والنجوم والجبال ، والشجر والدواب ، والآكام والرمال ، وكل رطب ويابس ، وكل حي وميت ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ . انتهى [46]

بل من المخلوقات الرعد ، الذي تَرْتَعِدُ النفوس من صوته ، وتفر الأذن من سماعه ، بل لا تألفه بحال ، ليسبح ﴿الرَّعْدُ بِحَمِدِهِ﴾ ، منزها له من كل الذي نسبَ إليه من النَّقص ، ومكذبا للنصراني الذي أعلنَ الكذب عليه ، الذي اتفق العقلاء على

---

[46] انظر : ( زاد المعاد ١/ ٣٣-٣٤) لابن القيم

القول ببطلانه ، قائلا بأن الحقَّ الذي وقفَ عليه هو الذي لا عقلَ له ، ولا عين له ، ولا أذن له به يقف على كلام ربه ، لخير منهم ، بالملايين في الباب...

تأمل أن الإله الحق ، لتنزهه الأشياء المخلوقة له – جَلَّ ثناؤه – جميعا ، والإله الذي زعمته النصارى ، لتنتقص منه كل يوم ، بل كل ساعة ، بل كل لحظة ، وإن كان المسلمون على الثناء على المسيح ، والصلاة له ، كما أن لهم الصلاة على نبيهم بأمر ربهم ، لما له من النبوة ، بخلاف النصارى ، فإن الطعن منهم على المسيح أظهر من الشمس ، إذ زعموا له الذي لا يستحقه من الألوهية ، وهي لا تتفق مع الهيئة البشرية ، فكان كالطعن الصريح فيه ، وذلك أشبه بقول البلاغيين : مدح أريد به الذم..

وتأمل في مثل قوله تعالى : { ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين }
وفي مثل قوله :{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[47]

---

[47] أخرجه الأمام البخاري في (الجامع الصحيح ) رقم ( 4811...) ومسلم في (الصحيح ) رقم ( 2786)

وقال ابن مسعود أيضا: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم "[48]

قال زيد بن عمرو بن نفيلٍ ـ وكان من الموحدين في الجاهلية ـ :

رَضِيتُ بِكَ ـ اللَّهُمَّ ـ رَبًّا فَلَنْ أُرَى * أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ ـ اللهَ ـ ثَانِيَا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَةٍ * بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا

فَقُلْتَ لَهُ: اذْهَبْ وهَارُونَ فَادْعُوَا * إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا

وَقُولَا لَهُ: أَأَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ * بِلَا وَتَدٍ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا

وَقُولَا لَهُ: أَأَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ * بِلَا عَمَدٍ أَرْفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا

وَقُولَا لَهُ: أَأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا * مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا

وَقُولَا لَهُ: مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدْوَةً * فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الأَرْضِ ضَاحِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى * فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا

وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُؤُوسِهِ * وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا

---

[48] أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (26) ، والطبراني في الكبير(8987) ، وأفاد الهيثمي بأن رجاله رجال الصحيح

وَلَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا * وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وَإِنِّي وَلَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا * لَأُكْثِرُ . إِلَّا مَا غَفَرْتَ . خَطَائِيَا

فَرَبَّ العِبَادِ أَلْقِ سَيْبًا وَرَحْمَةً * عَلَيَّ وَبَارِكْ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا

**الوجه العاشر** : دَلَّ لفظ ( ابن مريم ) : على النسبة له إلى البشر ، كما مر بيان ذلك ، ومما فرض على البشر الذين له النسبة إليهم – بدليل كونه ابن مريم ، وهي من البشر – : الموت ، الذي لا مفر لأحد منه ، بل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لبَشَر من قَبْلكَ الخُلْدَ أَفَإن متَّ فَهُمُ الخَالدُون ﴾ ففرض ذلك الموت على المسيح ، إذ هو الأصل في البشر ، ولا يمكن القول بخروجه من الأصل هذا ، إلا بزعم أنه ليس من البشر ، وعلى القول بأنه ليس منهم ، لقيل بأن المآل له الموت ؛ بدليل قوله : ﴿ كل مَنْ عليها فان ﴾ ، و(كل) من صيغ العموم ، قال في المراقي :

صِيَغُهُ كُلٌّ أو الجميع ** وقد تلا الذي التي الفروع

أين وحيثما ومَن أي وما ** شرطا ووصلا وسؤالا أفهما

والقول بعدم النسبة له إلى البشر : باطل لا ينتهض للاحتجاج ، بدليل الدليل الصريح الذي نطق به القرآن ، فقوله { ابن مريم } وقوله : { وبرا بوالدتي } صريحان في الرد لذلك ، وبالتسليم للقول بأنه من البشر ، العلم بأن الموت فرض

عليهم ، وبأن التأبيد ممتنع في حقهم ، بدليل القرآن أولا ، ودليل الواقع المتفق عليه ثانيا ؛ فإنه من الذي اتفق عليه الخلق ، أن الموت فرض عليهم، وأن كل حي ميت، وأن الأجسام للأوائل الذين وجدَ لهم الوجود في القرون الأولى ، لا وجد لأحد منهم ، بل لا أثر له حتى ، إلا النادر – إن وجدَ – وإلا ، لما فر الناس من الضار ، ومن الأسباب الموجبة للضرر ، بل العلم بوجود الموت حاصل بالضرورة الفطرية ، بل الحيوان الذي لا عقل له ، لعلى اليقين من ذلك ؛ فلأجل ذلك ، فر الضعيف من القوي من الحيوان ، وهرب هو من الذي هو أقوى منه ، وما لبس الذي لبس الدرع في الحرب ، ولا توقى الذي توقى الضرر إلا لأجل السلامة منه...

بل إن الكلام في إثبات الموت ، كالكلام في إثبات الشمس...

والله المستعان

فإذا علم ذلك ، وعلم أن الموت حاصل للمسيح ، علم أن استحقاق التأله له متعذر ؛ إذ ذلك عين النقص فيه ، مفيد لعدم استحقاقه التأله ، ومفيد للقول بأن الذي بيده الحياة للمسيح ، هو الإله الحق ، وهو الذي له الاستحقاق للتأله ، وهو الذي له القدرة على النفع...

## أقوال العلماء في المقصد الشرعي من التشريع

قال ﷻ: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرجَ الناسَ منَ الظُّلُمَات إلى النُّور بإذن ربهم إلى صراط العَزيز الحميد ﴾[49]

وقال ﷻ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [50]

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إنما حَرَّمَ رَبيَ الفَوَاحشَ مَا ظَهَرَ منها وَمَا بَطَنَ والإثمَ والبَغْيَ بغير الحَقّ وأَن تُشْركُوا بالله مَا لم يُنَزل به سُلْطَانا وَأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾الآية [51]

وقالﷻ: ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليُتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ الآية[52]

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً للعَالمين ﴾[53]

---

[49] سورة إبراهيم : الآية (1)

[50] سورة النحل : الآية (90)

[51] سورة الأعراف : الآية ( 33)

[52] سورة المائدة : الآية (6)

[53] سورة الأنبياء : الآية (107)

**قال علماء الإسلام :**[54]

الدين جاء لجلب المصالح وتكميلها ، ودرء المفاسد وتقليلها

قال شيخ الاسلام: ومن استقرأ الشريعة في مواردها ومصادرها ، واشتمالها على مصالح العباد في المبدأ والمعاد ؛ تبين له من ذلك ما يهديه الله إليه ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورا فَمَالَهُ مِن نُور ﴾ . انتهى [55]

وقال العز ابن عبد السلام: التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم [56]

وقال الشاطبي: الشريعة جاءت لجلب المصالح ودرء المفاسد . [57]

وقال الآمدي : وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ إِنَّمَا شُرِعَتْ لِمَقَاصِدِ الْعِبَادِ، أَمَّا أَنَّهَا مَشْرُوعَةٌ لِمَقَاصِدَ وَحِكَمٍ فِيدِلُّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ وَالْمَعْقُولُ.
أَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَهُوَ أَنَّ أَئِمَّةَ الْفِقْهِ مُجْمِعَةٌ عَلَى أَنَّ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ وَمَقْصُودٍ . انتهى[58]

---

[54] انظر : الموافقات ( ٥٣٨/٣ ) للشاطبي ، و مجموع الفتاوى ( ٢٦٥/١ ) ، و إعلام الموقعين ( ٣/٣ ) ، و( شرح الطحاوية ٧١٨/١ ) لابن أبي العز...

[55] انظر : مجموع الفتاوى ( ٥٢٨/٢١ ) لابن قاسم

[56] انظر : قواعد الأحكام ( ٦٢/٢ ) للعز ابن عبد السلام

[57] ( الموافقات ٥٣٨/٣ ) للشاطبي

[58] انظر : الإحكام في أصول الأحكام (285/3)للآمدي

وقال ابن القيم : وإذا تأملت الشريعة التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم حق التأمل ، وجدتها من أولها إلى آخرها شاهدة بذلك ناطقة به ، ووجدت الحكمة والمصلحة والعدل والرحمة باديا على صفحاتها ، مناديا عليها ، يدعو العقول والألباب إليها . انتهى[59]

وقال ابن القيم : الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد . [60]

وقال الشوكاني : كل جزئي من جزئيات الشريعة التي قام الدليل على طلبها لا بد أن يشتمل على جلب مصلحة أو مصالح ، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ، وكل جزئي من جزئيات الشريعة الواردة بالنهي عن أمر أو أمور لا بد أن يكون المنهي عنه مشتملا على مفسدة أو مفاسد تندفع بالنهي عنها . انتهى

قال ابن السعدي في القواعد والأصول الجامعة ( ص/٢١ ) : القاعدة الأولى : الشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة

هذا الأصل شامل لجميع الشريعة ، لا يشد عنه شيء من أحكامها ، لا فرق بينما تعلق بالأصول أو بالفروع ، وسواء تعلق بحقوق الله ، أو بحقوق عباده . قال الله

---

[59] انظر : مفتاح دار السعادة (٢/٢٣) لابن القيم

[60] انظر : ( إعلام الموقعين ٣/٣ ) لابن القيم

تعالى : ﴿ إنَّ الله يأمرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاء ذي القُرْبَى وَيَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنكَر والبَغْي يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تذكرون ﴾

فلم يبق عدل ولا إحسان ولا صلة إلا أمر به في هذه الآية الكريمة ، ولا فحشاء ولا منكر متعلق بحقوق الله ، ولا بغي على الخلق في دمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم إلا نهى عنه ، ووعظ عباده أن يتذكروا هذه الأوامر وحسنها ونفعها فيمتثلوها ، ويتذكروا ما في النواهي من الشر والضرر فيجتنبوها ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ بِي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُم عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين ﴾

فقد جمعت هذه الآية أصول المأمورات ، ونبهت على حسنها كما جمعت الآية التي بعدها أصول المحرمات ونبهت على قبحها ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ والإِثْمَ والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾

**قلت** : تفرع من الأصل هذا ، قواعد ، فمنها : لا ضرار ولا ضرار[61] ، وهي لفظ الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم ، ومنها : الضرر لا يزال بمثله[62] ،

---

[61] انظر : الموافقات (61/3) ، و الفروق (120/1) للقرافي المالكي وشرح مختصر الروضة (438/2) للطوفي ، والإبهاج شرح المنهاج (166/3) للسبكي ، و التمهيد لتخريج الفروع على الأصول (487/1) ، و حاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع (394/2) للعطار ، والأشباه والنظائر (82/1) للسيوطي

[62] انظر : الأشباه والنظائر (41/1) للسبكي

ومنها : الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف ، ومنها : يقدم الأعلى على الأدنى من المفاسد ، قال السعدي :

فإن تزاحمت المصالح ** يقدم الأعلى من المصالح

وضده تزاحم المفاسد ** يرتكب الأدنى من المفاسد

وليس المحل للتعليق عليها واحدة واحدة ، إنما المقصد من الفصل هذا ، هو ذكر طرف من الأقوال المفيدَةِ لجمال الشريعة ، وبيان الحق الذي غفل عنه الطرف الآخر، فلعل الله أن يهديه به .

وقد ورد عن العلماء التقسيم للمصالح تلك إلى ثلاثة أقسام[63] ، بحسب الواقع الشرعي :

**الأول : الضروريات** ، وهي الضروريات الخمس المشهورة ، وهي

١- حفظ الدين

٢- وحفظ النفس

٣- وحفظ العقل

٤- وحفظ النسب

[63] انظر : ( الموافقات في أصول الشريعة 324/2) للإمام الشاطبي

٥– وحفظ المال[64]

**الثاني : الحاجيات**[65]، وهي دون الأول في الرتبة ؛ إذ تعلقها بما لا يتصل بحد الضروري ، قال الشاطبي : وأما الحاجيات فمعناها : أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين – على الجملة – الحرج والمشقة ، لكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة . انتهى ، قلت : وهي كقصر الرباعية في السفر ، وكالفطر في السفر في رمضان...

فلا يمكن القول بأن القصر للرباعية في السفر ضروري ، بل هو حاجي محض ، وقد يصير الحاجي الأصل ضروري ، كالفطر في السفر في رمضان ؛ فإنه قد يصحبه الضرر للبعض ، فينقلب من الحاجي إلى الضروري ، وليس المحل لمثل هذه المسائل ، ولعل الله أن يفتح لنا من فضله – جل ثناؤه – في غير الموضع هذا ، كما فتح لنا .

**الثالث : التحسينيات** ، وهي الكماليات ، كآداب الأكل والشرب واللباس وغيرها...

[64] انظر : الموافقات (326/2) لشيخ المقاصد الإمام الشاطبي ، و التحبير شرح التحرير (3414/7) ، و البحر المحيط (86/8) للإمام الزركشي ، و إرشاد الفحول (185/2) للشوكاني

[65] قال الشوشاوي: ((الحاجي: هو الذي يُحْتاج إليه في بعض الأحوال)) رفع النقاب القسم 2 / 815.

قال الشاطبي : وأما التحسينيات فمعناها : الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق ، وهي جارية فيما جرت فيه الأوليان ، ففي العبادات كإزالة النجاسة — وبالجملة — وستر العورة ، وأخذ الزينة ، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات وأشباه ذلك ، وفي العادات : كآداب الأكل والشرب ، ومجانبة المآكل النجسات ، والمشارب المستخبثات. انتهى[66]

وقال الغزّالي هي: مالا يرجع إلى ضرورةٍ ولا إلى حاجة، ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتوسعة والتيسير للمزايا والمراتب ورعاية أحسن المناهج في العبادات والمعاملات والحمل على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات . انتهى[67]

❖ **فائدة** : قال الشاطبي ( الموافقات 328/2) : ومن أمثلة هذه المسألة أن الحاجيات كالتتمة للضروريات، وكذلك التحسينات كالتكملة للحاجيات، فإن الضروريات هي أصل المصالح حسبما يأتي تفصيل ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى .

## شرط التكملة

كل تكملة فلها– من حيث هي تكملة– شرط، وهو: أن لا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال ، وذلك أن كل تكملة يفضي اعتبارها إلى رفض أصلها، فلا يصح اشتراطها عند ذلك ، لوجهين.

---

[66] الموافقات (327/2)

[67] شفاء الغليل (ص/ 169)

أحدهما: أن في إبطال الأصل إبطال التكملة، لأن التكملة مع ما كملته كالصفة مع الموصوف، فإذا كان اعتبار الصفة يؤدي إلى ارتفاع الموصوف، لزم من ذلك ارتفاع الصفة أيضا، فاعتبار هذه التكملة على هذا الوجه مؤد إلى عدم اعتبارها، وهذا محال لا يتصور، وإذا لم يتصور، لم تعتبر التكملة، واعتبر الأصل من غير مزيد.
والثاني: أنا لو قدرنا تقديرا أن المصلحة التكميلية تحصل مع فوات المصلحة الأصلية، لكان حصول الأصلية أولى لما بينهما من التفاوت.
وبيان ذلك أن حفظ المهجة مهم كلي، وحفظ المروءات مستحسن، فحرمت النجاسات حفظا للمروءات، وإجراء لأهلها على محاسن العادات، فإن4 دعت الضرورة إلى إحياء المهجة بتناول النجس، كان تناوله أولى.
وكذلك أصل البيع ضروري، ومنع الغرر والجهالة مكمل، فلو اشترط نفي الغرر جملة لانحسم باب البيع، وكذلك الإجارة ضرورية أو حاجية ، واشترط حضور العوضين في المعاوضات من باب التكميلات .
(68)

**فائدة :** قال القفرافي في ( الفروق 34/4) : قَد تَقَرَّرَ فِي أصولِ الفقه أَنَّ المصَالِحَ إمَّا فِي مَحَلِّ الضَّرُورِيَّاتِ أو فِي مَحَلِّ الحاجِيَّاتِ أو فِي مَحَلِّ التَّتِمَّاتِ وَإِمَّا مُستَغنًى عنه إمَّا لعدمِ اعْتِبَارِهِ ، وَإِمَّا لِقِيَامِ غَيْرِهِ مَقَامَهُ.

## ❖ تنبيه

**قال شيخ الاسلام:** وكثير من الناس يقصر نظره عن معرفة ما يحبه الله ورسوله من مصالح القلوب والنفوس ومفاسدها ، وما ينفعها من حقائق الإيمان وما يضرها من

(68) انظر : الموافقات (329/2) للشاطبي

الغفلة والشهوة ، فتجد كثيرا من هؤلاء في كثير من الأحكام لا يرى من المصالح والمفاسد إلا ما عاد لمصلحة المال والبدن ، وأعرضوا عما في العبادات الباطنة والظاهرة من أنواع المعارف بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وأحوال القلوب وأعمالها ، كمحبة الله وخشيته وإخلاص الدين له ، والتوكل عليه وال جاء لرحمته ، ودعائه ، وغير ذلك من أنواع المصالح في الدنيا والآخرة ، وكذلك فيما شرعه الشارع من الوفاء بالعهود وصلة الأرحام ، وحقوق المماليك والجيران ، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وغير ذلك من أنواع ما أمر به وما نهى عنه ، حفظا للأحوال السُّنِّية وتذيهبا للأخلاق . انتهى[69]

**قال ابن القيم** : والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته ، فلأتباعه الهدى والأمن ، والفلاح والعزة ، والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد ، وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذل والصغار ، والخوف والضلال ، والخِذلان والشقاء في الدنيا والآخرة ، وقد أقسم صلى الله عليه وسلم بأن (( لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحَبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين )) وأقسم الله سبحانه لا يؤمن من لا يحكم في كل ما تنازع فيه هو وغيره ، ثم يرضى بحكمه ، ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به ثم يسلم له تسليما ، وينقاد له انقيادا. انتهى

---

[69] انظر : مجموع الفتاوى ( ٢/ ٢٣٣-٢٣٤) لابن قاسم

قلت : أشار إلى قوله : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾

## ❖قاعدة في المتابعة

قال ﷻ :﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ قال ابن القيم : فقطع سبحانه التخيير بعد أمره وأمر رسوله ، فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره صلى الله عليه وسلم ، بل إذا أمر ، فأمره حتم ، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره ، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته ، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغَ الاتباع ، لا واجب الاتباع ، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه ، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه ، ولو ترك الأخذ بقوله ، لم يكن عاصيا لله. انتهى (70)

(70) انظر : زاد المعاد (١/ ٣٨ ) لابن القيم

## خاتمة

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] ، وقال: *﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128].

وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: 164].*

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴾ [القصص: 86] ، وقال ﷻ: ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: 1].

قلت : من الأغراض العَلِيَّة للبَعْث : الرحمة بالعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] ، فالدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم : دين الخير والبركة ، والسلامة والرحمة ، قام على الشهادة الحق ، والأخذ بيد

الخلق إلى الحق ، وما ذُكِرَ من النصوص أعلى : كاف لبيان ذلك ، والشهادة له ، والرد على القول المخالف له ، إلا أن الذي أردت الإفصاح به : هو أنه إن أراد أحدٌ من الخلق الكلام فيه ، فعليه به ، والدراسة لما تضمنه ، وأنصح بدراسة السيرة العطرة ، ومعرفة الأحوال له صلى الله عليه وسلم ، وليعلم الناس بأن مناط الحب والبغض ، هو الإسلام والاستقامة عليه ، فمن كان عليه ، أحبه المسلمون ، وقرَّبوه، ومنحوا له الذي يستحقه ، من العناية والاهتمام به ، برد السلام واستجابة الدعوة الصادرة منه ، وغسله ودفنه حال مفارقة الحياة ، إضافة إلى ما له من الموقع في القلوب...

ومن كان على العكس منه ، كان له العكس من ذلك ، لا لأجل الدنيا ، بل لأجل الله – الذي خلق الدنيا – ومن كان له الحظ منه دون الاستقامة ، بأن قارف الذي لا يحل له بحال ، وفرط في بعض ما هو فرض عليه ، فله الذي يليق به من الحب والبغض..

فانظر إلى حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس ، فإنه قد قَرَّبَ البعيد ، وأبعد القريب لأجل أمر واحد ، وهو الدين...

وعلم من ذلك : أن النسبة لأحدِ الأمور إلى الدين يجب أن تكون على الضابط المذكور ، وهو ورود الذي نسب إليه فيه ، بمعنى أن يكون مما شُرِعَ فيه ، لا الذي عليه أحد الأفراد !

والجزم بأنَّ الشريعة كاملة عادلة ، صالحة لكل أحد ، في كل زمن ، وفي كل وطن...

وهذا التنبيه مهم جدًّا ، وعَلَّنا نُفْرِدُ له بحثا بإذن الله.

وليعلم النصارى !! أن الدين الإسلامي لم يأتِ إلا لجلب السعادة لهم ، ودرء الشقاء الأبدي عنهم ، وعن الأمم الأخرى ، فالحذر من الرد لما جاء به الدين هذا ، أو الطعن فيه ، أو الطعن في الذي جاء به ، أو محاولة الصد عنه ، ومنع الخلق منه ، فذلك كله طريق إلى الهلاك والشقاء ، فالواجب اعتناقه ، والثبات عليه ، فإنه الملائم للخلق ؛ من حيث الفطرة ، ومن حيث الذي فرضه الرب عليهم ، بخلاف الدين النصراني ، ففيه المخالفة الظاهرة للفطرة.

هذا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

# فهرس

المحتويات رقم الصفحة